

أضواء البيان

. @ 483 @ .

7 ! 7 ! قوله تعالى { وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا }
الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَيْ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا
وَأَحْسَنُ نَدِيًّا وَكَمُ أَهْلًا كُنَّا فَبِلَاهُمُ مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ
أَثَرًا وَرَاءُ يَ . قوله تعالى في هذه الآية الكريمة : { خَيْرٌ مَّقَامًا } قرأه
ابن كثير بضم الميم . والباقون بفتحها . وقوله : { ورئيا } قرأه قالون وابن ذكوان (
ورياً) بتشديد الياء من غير همز . وقرأه الباقون بهمزة ساكنة بعد الراء وبعدها ياء
مخففة . .

ومعنى الآية الكريمة : أن كفار قريش كانوا إذا يتلوا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وأصحابه آيات هذا القرآن ، في حال كونها بينات أي مرتلات الألفاظ ، وواضحات المعاني ،
بينات المقاصد ، إما محكمات جاءت واضحة ، أو متشابهات قد تتبعها البيان بالمحكمات ، أو
تبيين الرسول صلى الله عليه وسلم قولاً أو فعلاً ، أو ظاهرات الإعجاز تحدي بها فلم يقدر على
معارضتها أو حججا وبراهين . .

والظاهر أن قوله : { آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ } حال مؤكدة . لأن آيات الله لا تكون إلا كذلك .
ونظير ذلك قوله تعالى : { وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا } أي إذا تتلى عليهم آيات الله في
حال كونها متصفة بما ذكرنا عارضوها واحتجوا على بطلانها ، وأن الحق معهم لا مع من يتلوها
بشبهة ساقطة لا يحتج بها إلا من لا عقل له . ومضمون شبهتهم المذكورة : أنهم يقولون لهم :
نحن أوفر منكم حظاً في الدنيا ، فنحن أحسن منكم منازل ، وأحسن منكم متاعاً ، وأحسن
منكم منظرًا ، فلولا أننا أفضل عند الله منكم لما آثرنا عليكم في الحياة الدنيا ، وأعطانا
من نعيمها وزينتها ما لم يعطكم . .

فقوله : { أَيْ الْفَرِيقَيْنِ خَيْرٌ مَّقَامًا } أي نحن وأنتم أينما خير مقاماً .
والمقام على قراءة ابن كثير بضم الميم محل الإقامة ، وهو المنازل والأمكنة التي يسكنونها
. وعلى قراءة الجمهور فالمقام بفتح الميم مكان القيام وهو موضع قيامهم وهو مساكنهم
ومنازلهم . وقيل : وهو موضع القيام بالأمور الجليلة ، والأول هو الصواب . .

وقوله : { وَأَحْسَنُ نَدِيًّا } أي مجلساً ومجتمعاً . والاستفهام في قوله : { أَيْ
الْفَرِيقَيْنِ } الظاهر أنه استفهام تقرير . ليحملوا به ضعفاء المسلمين الذين هم في
تقشف ورثاة هيئة على أن يقولوا أنتم خير مقاماً وأحسن ندياً منا . وعلى كل حال فلا خلاف

